

روح المعاني

أنه جائز مطلقا كما وقع لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وسيأتي إنشاء الله تعالى تحقيق ذلك بإذن الله تعالى الهادي .

وما كان الله ليضل قوما أي ما يستقيم من لطف الله تعالى وأفضاله أن يصف قوما بالضلال عن طريق الحق ويذمهم ويجري عليهم أحكامه بعد إذ هداهم للإسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا أو دلالة ما يتقون أي ما يجب إتقاؤه من محذورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه وكأنه تسلية للذين إستغفروا للمشركين قبل البيان حيث أفاد أنه ليس من لطفه تعالى أن يذم المؤمنين ويؤاخذهم في الإستغفار قبل أن يبين أنه غير جائز لمن تحقق شركه لكنه سبحانه يذم ويؤاخذ من إستغفر لهم بعد ذلك والآية على ما روي عن الحسن نزلت حين مات بعض المسلمين قبل أن تنزل الفرائض فقال إخوانهم : يا رسول الله إخواننا الذين ماتوا قبل نزول الفرائض ما منزلتهم وكيف حالهم وعن مقاتل والكلبي أن قوما قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل تحريم الخمر وصرف القبلة إلى الكعبة ثم رجعوا إللقومهم فحرمت الخمر وصرفت القبلة ولم يعملوا ذلك حتى قدموا بعد زمان إلى المدينة فعلموا ذلك فقالوا : يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن في ضلال فأ نزل الله تعالى الآية وحمل الإضلال فيها علما ذكرنا هو الظاهر وليس من الاعتزال في شيء كما توهم وكأنه لذلك عدل عنه الواحدي حيث زعم أن المعنى ما كان الله لوقع في قلوبهم الضلالة : وإستدل بها على أن الغافل وهو من لم يسمع النص والدليل السمعي غير مكلف وخص ذلك المعتزلة بما لم يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعه فإنه غير موقوف على التوقيف عندهم وهو تفريع على قاعدة الحسن والقبح العقليين ولأهل السنة فيها مقال إن الله بكل شيء عليم 115 تعليل لما سبق أي إن الله تعالى عليم بجميع الأشياء التي من جملتها حاجتهم إلى البيان فيبين لهم وقيل : إنه إستئناف لتأكيد الوعيد المفهوم مما قبله وكذا قوله سبحانه : إن الله له ملك السموات والأرض من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير 116 وقال غير واحد : إنه سبحانه لما منعهم عن الإستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم رأسا بين لهم أن الله سبحانه مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصر إلا منه تعالى ليتوجهوا إليه جل شأنه بشرائهم متبرئين عما سواه غير قاصدين إلا إياه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار قال أصحاب المعاني المراد ذكر التوبة على المهاجرين والأنصار إلا أنه جيء في ذلك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلّم تشريفا لهم وتعظيما لقدرهم وهذا كما قالوا في ذكره تعالى فيقول له سبحانه : فأنت خمسته وللرسول إلخ أي عفا

سبحانه عن زلات سبقت منهم يوم أحد ويوم حنين وقيل : المراد ذكر التوبة E وعليهم والذنب بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم من باب خلاف الأولى نظرا إلى مقامه الجليل وفسر هنا على ماروي عن ابن عباس بالإذن للمنافقين في التخلف وبالنسبة إليهم رضي الله تعالى عنهم لا مانع من أن يكون حقيقيا إذ لا عصمة عندنا لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويفسر بما فسر أولا .

وجوز أيضا أن يكون من باب خلاف الأولى بناء على ما قيل : إن ذنبهم كانا للميل إلى القعود عن غزوة تبوك حيث وقعت في وقت شديد وقد تفسر التوبة بالبراءة عن الذنب والصون عنه مجازا حيث إنه لا مؤاخذه